

عُسرَقانا بالجديك



يوسف حبيب

١٩٧٠

مليكه حبيب يوسف

وفي اليوم الثالث كان عرس في قانا الجليل وكانت أم يسوع
هناك . ودعى أيضاً يسوع وتلاميذه إلى العرس . ولما فرغت الخمر
قالت أم يسوع له ليس لهم خمر . قال لها يسوع ما لي ولك يا امرأة .
لم تأت ساعتى بعد . قالت أمه للخدام معها قال لكم فافعلوه . وكانت ستة
اجران من حجاره موضوعة هناك حسب تطهير اليهود يسع كل واحد
مطرين أو ثلاثة . قال لهم يسوع املاوا الاجران ماء . فلأوها إلى
فوق . ثم قال لهم استقوا الآن وقدموا إلى رئيس المتكأ ... فقدموا .
فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول خمرا ولم يكن يعلم من أين هي . لكن
الخدام الذين كانوا قد استقوا الماء علموا . دعا رئيس المتكأ العريس
وقال له . كل إنسان إنما يضع الخمر الجيده أولا ومتى سكروا فحينئذ
الدون . أما أنت فقد ابقيت الخمر الجيده إلى الآن . هذه بداعة الآيات
فعلها يسوع في قانا الجليل واظهر مجده فآمن به تلاميذه . (يو : ١ - ١١)

إن من يفتح نافذة عقله على اتساع الكتاب الملم به من الله ولاسيما
الاناجيل المقدسة ، يجد طرقا كثيرة للحياة الفضلى ، وسوف يجد أنها
جميعها تؤدي إلى الله ، وأنها مليئة بالفداسة ، تعد من أجل المستقبل ،

وتدعو إلى الحياة الأبدية؛ لأن الحياة الفضلى هي ألا تترك جانب الله.
وسوف يعتقد أنه يسمعه يتكلم بفم أرميا النبي موجهاً كلامه إلى كل
الذين يريدون أن يسمعوا :

« قفوا على الطريق وأنظروا واسألوا عن السبل القديمة أين هو
الطريق الصالح وسيروا فيه فتجدوا راحة لنفوسكم. » (أر ٦ : ١٥).
إن كلمة الله الأب الذي تكلم قديماً بفم أنبيائه ، والله بعد ما كلم
الآباء بالانبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة ، (عب ١ : ١) تجسد في
آخر الزمان وتأس بطريفة لا ينطق بها ، حقيقة وبدون استحالة ، من
الروح القدس ومن جوهر القديسة مريم والدة الإله دائمة البتولية ،
وبذلك افتتح طريق البتولية ، وهو الطريق الذي يحوى هذا العالم من
جانب في الزمن الحاضر الذي يكتمل بانجذاب الاولاد بالوصية الالهية
القائلة : « ائتمروا واكثروا » (تك ١ : ٢٨) ، ومن جانب آخر يتعداه
إلى العالم الآن الذي سوف تظهره القيامة جديداً ، لأن الذين سيقومون
يجب أن يكونوا كلائكة في السماء (مر ١٢ : ٢٥) ولا يازم أن يكونوا
محتاجين إلى معونة الزواج ، لانهم يقعون دائماً دون أن يعودوا إلى
الوجود الدنيوي مرة أخرى ودون أن يموتوا .

بين الزواج والبتولية

إن كلمة الله ، إذ علم أن فخر العزوبة غير الامتياز به حالة اخضاعه
لقاعدة ، وإذ أنه الإله حتم بقانون ما يلائم طبيعة طبيعتنا ، ولم يحدد
بقوانين مكتوبة أنه يلزمنا أن نجتهد لنسقي متبتلين ؛ حتى تكون البتولية
موضوع غيرة ارادية ، فهي الحالة الجميلة جداً المتناهية في البهاء التي تقود
إلى كرامة تعدل كرامة الملائكة . رغب الرب في وجودها دون أن
يطلب منا ذلك . وبالأحرى يحملنا إليها بانجحة ، وليس يدفعنا إليها
باضطرار القانون . فان ما يتضمنه القانون يلزمنا ضرورة أن نفعله ،
لكن ما لا يحكمه القانون فهو خاص بمن يختارونه طوعاً .

لذلك بولس الرسول ، إذ يطبع إرادة الله وطيبه ، يكتب منذراً ،
وما كان جائراً ، فنبيا يتعلق بذلك يعلم في نصيحة هكذا :

« وأما العذارى فليس عندى أمر من الرب فيهن ولكنى أعطى
رأياً لمن رحمه الرب أن يكون أميناً ، (١ كو ٧ : ٢٥) .

« وأما من جملة الأمور التي كتبتم لي عنها فحسن للرجل أن لا يمس
أمرأة. » (١ كو ٧ : ١)

وأيضاً : • فأظن أن هذا حسن بسبب الضيق المحاضر أنه حسن
للإنسان أن يكون هكذا ، أنت مرتبط بامرأة فلا تطلب الانفصال .
أنت متفصل عن امرأة فلا تطلب امرأة ، ولكنك وأن تزوجت لم تخطئ .
وأن تزوجت العذراء لم تخطئ . ولكن مثل هؤلاء يكون لهم ضيق في
الجسد . وأما أنا فاني اشتقت عليكم ، (١ كو ٧ : ٢٦ - ٢٨) .

لقد دعا ضيق في الجسد ، ما يضاف إلى هموم ومتاعب الزواج
الدينيوية . ويقول فعلاً :

• فأريد أن تكونوا بلا هم . غير المتزوج بهم في ما للرب كيف
يرضى الرب . وأما المتزوج فيهم في ما للعالم كيف يرضى لإمرأته .
إن بين الزوجة والعذراء فرقاً . غير المتزوجة تهم في ما للرب لتكون
مقدسة جسداً وروحاً . وأما المتزوجة فتهتم في ما للعالم كيف ترضى
وجله ، (١ كو ٧ : ٣٢ - ٣٤) .

وهو لا يقول ذلك لكي يكرهنا في الزواج كأنه دنس غير ظاهر .
فهو يعرف أنه ظاهر حتى أنه يقول بخصوص زواج غير المؤمن بالزوجة
المؤمنة ، أو العكس :

• لأن الرجل غير المؤمن مقدس في المرأة والمرأة غير المؤمنة
مقدسة في الرجل . وإلا فأولادكم نجسون . وأما الآن فهم مقدسون ،
(١ كو ٧ : ١٤) .

وفي مكان آخر يكتب : • ليكن الزواج مكرماً عند كل واحد
والمضجع غير دنس وأما العاهرون والزناة فسيدينهم الله ، (عب ١٣ : ٤)

حينما يريد أن يعرفنا بالأحداث ذاتها ويعلمنا بطريقة واضحة أن
الزواج طاهر وأنه لا يفصل أبداً عن الله ، فإن ربنا والهنا يسوع
المسيح أيضاً ، الذي ولد من العذراء بالجسد ، الذي حافظ على بتولية
والده وذلك بعد الولادة أيضاً ، الذي أظهر اتساع طريق البتولية لحياة
العالم ، قد أهب ونعمة العرس التي أقيمت في قانا الجليل ، في حضور العذراء
أمه وتلاميذه ؛ إذ أنهم كانوا مدعوين بسبب بعض الصداقة البشرية
وبسبب بعض الأقرباء . إذ كانوا معروفين .

وأن ذلك الذي يصنع كل شيء بحكمة . • ما أعظم أعمالك يا رب .
كلها بحكمة صنعت . • هلانة الأرض من غناك . • (مز ١٠٣ : ٢٤) -

قد بارك طبعاً للتدبير الالهي ونية العرس ، وصنع كذلك أول معجزة . وهذا قد رواه يوحنا الانجيلي وحده غير الانجيليين الآخرين ، وهو الذي احتفظ بتوليته وقضى حياته كلها دون أن يعرف علاقة الزواج الجسدية ، وكان عزيزاً بصفة خاصة لدى المسيح يسوع ربنا . ومع ذلك فلو كان الزواج مكروهاً ، لزم ألا يذكر هذه المعجزة بسبب الذين يهربون من علاقة الزواج الجسديه ويحشون عن محاكاة الملائكة . ولنتظر ما هي العلاقة التي صنعها الرب يسوع حينما كرم ونية العرس .

العذراء تعلم بالمعجزة سلفاً

يقول يوحنا : « ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له ليس لهم خمر ، (يو ٣ : ٣) . من ذلك نتأكد أن الذين دعوه إلى ونية العرس لم تكن عندهم أفكار عالية بخصوصه أى أفكار تليق بالله . فانه كان يازمهم لو كانت عندهم الافكار اللائقة أن يرجوه أن يعالج إشكال فراغ الخمر ؛ لأن المحتاج يطلب لكي ينال ما يحتاج إليه . وقد قلت أنهم دعوه إلى ونية العرس لمعرفةهم له بطريقة بشرية ، دون أن يعتبروا إطلاقاً رفعة الوهيته . »

وبينا مريم العذراء ترآف في فكرها قد عظفت على هؤلاء الأشخاص في حاجتهم وطلبت ، فإن يسوع تمهل في هذا الطلب حتى لا يظهر أنه يبحث عن المجد الباطل ، كأن يفكر لأجل نفسه في هذا المجد مع الدقة ، فتبدو أنها طلبت ذلك ظاهرياً ، وأنه يجب صوب ظهور العلامات .

فبينا كان يجعل السامعين يميندين عن هذا الرأي الخاطيء ، موضعاً أنه لا يصنع شيئاً من أجل المجد الباطل ، بل أنه يصنع كل شيء بعناية

الشفعة ، رد عليها رداً قوياً معلماً سامعياً ، كما قلت ، ومعلماً الحق ،
وليس مريداً الإنفاص من طلب والدته ، فقال : « مالي ولك يا امرأة
لم تأت ساعتى بعد » (يو ٢ : ٤) .

وقد عرفنا العذراء مريم والدة الإله فعلاً أن هذه الكلمات لم تكن
تأنيباً ، بل على سبيل التعليل بسبب الغراب . إذ أنها لم تنسحب وتبتعد
كن وجه إليها تأنيباً ، ولم تصمت وتندم على جسامتها كأنها اختصت
باللوم . لكنها إذ كانت تعلم في روحها بما يحدث ، قالت للخدام وكان
يسوع لم يقل شيئاً على الإطلاق : « مها قال لكم فافعلوه » (يو ٢ : ٥) ،
وهي تريد أن تبين أيضاً شيئاً أعظم يليق بالله أكثر .

قال يسوع موافقاً لفكرة أمه وإنما كانت تفكر فيها هو أعظم جداً :
« لم تأت ساعتى بعد » (يو ٢ : ٤) كأنه يقول .

« معتقدين أنني فجأة ابحت عن تحقيق علاقات عظيمة ، لكن أعلى
أن هذه تحكما مواقيت لاتفقة ، حتى أنه ولا جزء صغير من الساعة يقوته
توجيهى وترتيبى . فأتى بالفعل أظهر قليلاً قليلاً الوهيتى بالنسبة إلى نمو
القائمة الجسدية ، ومع تقدم القامة الحقيقي أظهر كأنى أنمر فى الحكمة

وفى النعمة (١) بالمعجزات والمعجائب ، لآتى آتى هذه المعجائب بطريقة
تليق بالله ولآتى أكشف عنها مع ذلك على التوالى كما يتطلب ذلك
أسلوب التدبير الالهى ، حتى إلى لحظة من الزمان صغيرة جداً ؛ إذ أن
ما يتعلق بالأعمال الإلهية يحدث أيضاً للشيء الصغير بل الأصغر من كل
شيء ، حتى لو كنا نجعل ذلك تماماً ويصعب علينا فهمه .

هذا المعنى يوجد فى موضع آخر من الانجيل أيضاً ما يتعلق باليهود :
« ولم يأتى أحد يدأ عليه لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد » (يو ٧ : ٣٠)
وفى موضع آخر : « ولم يمسه أحد لأن ساعته لم تكن قد جاءت
بعد » (يو ٨ : ٢٠)

وكذلك : « قد أتت الساعة ليتمجد ابن الانسان » (يو ١٣ : ٢٣)
وأنه إلى تمام التدبير الالهى حتى النهاية ، حينما لم يتبق شيء عما كان
معلوماً ومقررأ مقدماً بالنسبة له ، بحكمة الله ، كان الرب يسوع متنبأ
تماماً بالنسبة لجميع الناس . كان يجوز فى وسطهم أيضاً حينما كانوا يرمونه

(١) « وأما يسوع فكان يتقدم فى الحكمة والقامة والشفعة عند الله والناس »
(لو ٢ : ٥٢)

بالحجارة . و فتناول اليهود أيضاً حجارة ليرجموه ، (يو ١٠ : ٣١) .
 و فطلبوا أيضاً أن يسكوه فخرج من أيديهم . (يو ١٠ : ٢٩) .
 ولما وصل كل شيء إلى نهايته ، مكملات تماماً ومنتهايا للفاية حسب
 مسرة الله ورضائه ، حينئذ بالحقيقة سلم ذاته طوعاً ذلك الذي كان
 يقول : و ليس أحد يأخذها مني بل أضعها أنا من ذاتي . لي سلطان أن
 أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً . (يو ١٠ : ١٨) .
 ما كان يقول ذلك لو كان خاضعاً لضرورات الساعات حسب
 أكاذيب الخرافات الوثنية . لذلك ، حتى بعد أن قال لوادته ، من أجل
 السبب الذي ذكرته ، و لم تأت ساعتي بعد ، (يو ٢ : ٤) . فإنه في الحال
 صنع علامة لا يمتلكها أبداً من يكون خاضعاً للزمن . وفي نفس الوقت
 يعلننا إذا كنا مرة لا نطيع أمهاتنا اللواتي تأمرنا بعمل شيء في وقت
 غير مناسب ، فيبدو الرفض كأنه يتضمن ما يليق وما يرضى كثيراً .
 يعلننا أن نرضيهن في الحال بما يجب ، سواء بصنعتنا ما أمرن به ، أو
 بطريق آخر بالانتركيه إطلاقاً في حزنهن . يقول فعلاً : و أكرم أباك
 و أمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب الهك .
 (خر ٢٠ : ١٢) .

و أكرم أباك و أمك كما أوصاك الرب الهك لكي تطول أيامك
 و لكي يكون لك خير على الأرض التي يعطيك الرب الهك ،
 (تث ٥ : ١٦) .

و بفضنا الكلمة بأكثر عناية ، نجد أن والدة الإله ، بعد ميلادها
 و منذ أن خدمت سر التدبير الإلهي ، كانت ممثلة من الروح القدس
 و تعرف مقدما ما سوف يحدث . وكانت حقا نبيه . لأنه ان لم يكن
 الأمر هكذا ، فكيف تفكر العذراء ان الرب يسوع يستطيع أيضاً أن يصنع
 خيراً أمام أعين الجميع ، تلقائياً ، من لاشيء من المرات ؟ لكن لأنها
 كانت تعلم مقدما ما سيحدث و أن يسوع كان مزعماً ان يأمر الخدم بان
 يصبوا الماء لكي يحوله خيراً ، فهي أيضاً قد أعطتهم أمراً مقدما قائلة :
 و مهما قال لكم فافعلوه ، (يو ٢ : ٥) .

في هذا سبق العلم بشأن ما سوف يحدث مشتركاً بين يسوع وبين
 مريم العذراء ؛ المسيح لأنه الله ، و القديسة مريم العذراء لأنها
 تتصرف كنيية .

اعداد الحاضرين للمعجزة

وقد أراد فعلا أن يبعد عن المعجزة كل شبهة خيال وقد شاء أن يصنع ذلك . لانه لو كان تلقائيا جعل الخمر ينبع ويظهر بطريقة عجيبة وسط الذين كانوا يأكلون ، لكنوا ينظرون اليه كأنه كاذب ، دون أن يؤمنوا ، ولكن الامر يبدو كأنه خدعة العيون والتذوق ، من أعمال الشياطين ، مثلما يحاول أولئك المشعوذين بطريقة خادعة ، يعملون عملهم في الخيمة إذ يقلدون عملية صنع المعجزات .

لذلك فإن الرب يسوع يجعل خلو الخمر يبقى طريلا ، حتى يشعر من كانوا يأكلون بأنه يتقصص الخمر ، وهكذا لا يتركون المعجزة تمر أيضا ، بل يعدلون بها بوضوح . ولم يكن ينتظر الساعة ، ليس لهذا تأخر . وكيف يتم ملك الدهور يستوح الساعة ، ويفتظر ويراقب الفراغ في ذلك ؟ .

تمام المعجزة

فتحويله الماء خرا قد جنبتنا أيضا أن نتخيل في ذلك دعوى ، وبذلك أظهر أنه خالق كل الاشياء كما لو كان قد خلق النبيذ من العدم . إذ هو أيضا يحول كذلك قطرات الندى ويصنع تنافحا في شجر النضاح وتينا في شجر التين وكل نوع من الأشجار .

تأملوا كيف ان البشير ينصل المعجزة في ظروف مختلطة ، محققا صحتها من كل جانب ، ورافعا عنها شبهة الخيال . يقول : « وكانت ستة أجران من حجارة مرضوعة هناك حسب تطهير اليهود يسع كل مطرين ^(١) أو ثلاثة . قال لهم يسوع املأوا الأجران ماء . فملأوها إلى فوق ، (يو ٢ : ٦ - ٧) .

كان تاموس موسى يقضى بأن من لمس شيئا نجسا ينسل ملابسه ويفتسل بالماء . وبسبب كثرة مثل هذه التطهيرات ولأن بلاد فلسطين جافة

(١) المطر ، كما يقول أيفانيوس ، مقياس يسع اثنين وسبعين « سبتيا » setier ، « والسبتيه » يسع رطلين ونصف ، فيكون المطر مائة وثمانين رطلا ، (حوال أربعة صناع) ، أي ثلاثة مقاييس حسب مقياس الرها .

جدا ولا تروها اليسابيع أو الأنهار بل تأخذ الماء من الآبار أو
الخرانات ، كانت الأجران المذكورة تملأ ماء ويمدها اليهود لهذا
الغرض ، حتى يتطهروا في الحال . فثلك الأجران التي تصادف ان كانت
فارغة ، أمر الرب يسوع أن يملأها الخدم ماء ، وكانت تستعمل الماء
من مدة طويلة ولم يكن بها على الإطلاق أى رائحة أو أى شئ مما له
علاقة بالخر . فلو كان قد أمرهم بأن يستعملوا أية أوعية أخرى . لكن
يمكن أن يقال أنه بسبب بقاء بعض الثمالة فيها قد تأخذ بعض الشئ من
صفة الخمر حينئذ يسكب الماء على بقايا الخمر ، وأن الذين كانوا يأكلون
قد يشربون الماء على أنه خمر ، إذ كانوا قد سكبوا فصار حاسة التذوق
عندهم معدومة .

تأمل إذا كيف انه بذلك تستبعد كل شبهة للتخيل . فليس التلاميذ
هم الذين أمروا أن يملأوا الأجران ، لكنهم الخدم ، وهم اليهود
الغريباء الذين لا يجلبون من أى مكان فسفا في الشهادة ؛ وكان الأمر
لهم أن يملأوا تلك الأجران المخصصة من مدة طويلة وليس أى أجران
تصادفهم . يقول الكتاب : « فلأروها إلى فوق ، (يو ٢ : ٧) حتى لم

يكن ثمة مكان لأى مزيج من الخمر . وحينئذ قال المسيح للخدم : استقوا
الآن وفتحوا إلى رئيس المتكأ فقدموا ، (يو ٢ : ٨) .

ان رئيس المتكأ ليس أحد هؤلاء الذين يأخذون مكانهم على المائدة ،
لكنه رئيس صالة الوليمة ومستلزماتها ، ويكون شغله الشاغل هو
المرور وكأنه صائم ، يضع الطباخين والخدم والسقاه في أماكنهم .
ويرتب كل شئ في خدمة من يأكلون . إذا يكون هو الشخص الذى
أمر الرب يسوع بان يعطيه الخدم باكورة الماء المتحول خمرا ،
وهو الساهر الذى يحتفظ بنقاوة الخمر وتمييز تذوقها ، حتى شهد أن
المشروب لم يكن نبيذا فحسب ، بل أن هذا النبيذ كان جيدا جدا
وممتازا ، إذ قال للعريس : « كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولاومتي
سكبوا حينئذ الدون . أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن ،

(يو ٢ : ١٠) .

معنى عميق من معاني المعجزة

في هذا بهاء الكلمة الإنجليزية ومظهرها الخارجي حسب شرح المعجزة البسيط السهل المعروف أمامنا. ولكن لأولئك الذين يستطيعون أن يغزلوا باعتدال نحو عمق الأفكار — (وليس أحد يستطيع أن يصل إلى درجة التأمل الكامل) — ليس الغنى الموجود هنا غنى عاديا فإن وليمة العرس تبين أن المسيح جاء بحلوه بالجسد بين سكان الأرض كما في فرح ووليمة عرس. لأنه لم يأت ليدين العالم، بل ليخلص العالم، كما يقول البشير: «لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم» (يو ٣: ١٨) وحتى يخطف الكنيسة مثل عذراء طاهرة كما يقول بولس الرسول لأهل كورنثوس: «لأنني خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح (٢ كور ١١: ٢) وكان يقول عنه يوحنا المعمدان أيضا: «من له العروس فهو العريس» (يو ٣: ٢٩). وكان المسيح يقول أيضا عن تلاميذه: «هل يستطيع بنو العرس أن ينوحوا مادام العريس معهم» (مت ٩: ١٥).

إن وليمة العرس كانت إذا صورة الخطوبة والزواج العقلي الذي

صنعه المسيح، صورة اتحاده بأرواحنا، وهو عريس الكنيسة الطاهرة.

إن والدة يسوع العذراء القديسة والدة الإله إذ كانت تريد أن تستدر الرحمة من المسيح، وكأنها تدعوه أن يهب خمر التعاليم، حينما كانت حاضرة في وليمة العرس وكانت ترى أن التيسد، ويشير إلى كلمة التعليم التي كانت قد أعطيت لجمع اليهود، قد فرغ؛ لأن هؤلاء المعلمين رؤساء الكنيسة والفرسيين كانوا على مثال أصحاب الخلات يخلطون تعاليمهم الخاصة الضعيفة البشرية بماء الزيام والكبرياء؛ وهم الذين قال عنهم أيضاً أشعياء النبي: «صارت فضتك، زغلا وخرمك مغشوشة بماء» (اش ١: ٢٢) وكانوا يتخذون وصايا الناس مواضع لتعاليمهم حتى أن كل شيء كان يصير مشوبا. فقالت العذراء والدة الإله باسم الكنيسة: «وليس لهم خمر» (يو ٢: ٣).
لذلك رد يسوع قائلا: «والى ذلك يا امرأة لم تأت سماعتي بعد» (يو ٢: ٤).

لم يأت بعد الوقت الذي فيه الخمر الكامل السرى قبل أن أحل الصليب وأسفك دمي ويأتى البارقليط على الذين على الأرض . في الوقت الحاضر سوف أغير التعليم الذى يشابه الماء ، التعليم البشرى الذى سوف أحوله إلى حرارة ونشاط وقوة ولذة مشروب روحانى ، إذ أن النبيذ هو نموذج لذلك . .

لم يكن ممكناً أن يتذوق مجمع اليهود هذا النبيذ ، إذ كان نجلاً ، وكان المسيح متكناً معه على المائدة بسبب المحبة وقد اشركه على قدر اللازم في تعاليم الوليمة ، وليمة العرس ، إذ هو يعطى كثيراً من التعاليم الرائعة . رؤساء المتكأ هم تلاميذ موسى وتلاميذ إبراهيم ، لأن موسى كان أميناً : أما عبدى موسى فليس هكذا بل هو أمين في كل بيتى ، (عدد ١٢ : ٧) . وموسى كان أميناً في كل بيته كخادم شهادة للعتيد أن يتكلم به ، (عب ٣ : ٥) .

فبعد أن ذاقوا بطرف شفاههم عرفوا بوضوح وبإعلان الأنبياء أنه احتفظ بالخمر الجيدة التى هى التعاليم الانجيلية ، احتفظ بها للكنيسة ،

لآخرين في آخر الزمان . قال المسيح لليهود : « أبوكم إبراهيم تهمل بأن يرى يوسى فرأى وفرح ، (يو ٨ : ٥٦) .

هنا الخيرات والأرباح التى تليق بالكلمات الالهية وتتفق معها . ولكن ما قاله البعض وهم يخادعون يغيرون هذه المشاعر الحقيقية ويرسمون منها طريقاً للخطأ بدوافع قوية وبطريقة مضادة تؤدى إلى التجديف ، فهذا هو ما يجب أن نهرب منه ونحول عنه وجهنا . هنا يشرع القديس سايرس في نقد لاذع لاقوال أحد الكفرة في موضوع هذه المعجزة ، ويقول القديس :

وقد ناقش البعض أيضاً أن هذه المعجزة هى الأولى . فبينما يقول البعض أن المسيح هنا صنع هذه المعجزة أولاً ، إذ أنه في الوقت السابق في أيام تجسده ، لم يحدث شيء كهذا ، لأنه لم يرد أن يظهر نفسه قبل الوقت المحدد حسب التدبير الالهى . ولو كانت هناك معجزات قبل هذه لكان اليهود يصيرون في شك أكثر بخصوصه ، وما كانوا يؤمنون ، إذ أن هذا السن ليس هو السن اللائق ؛ وأيضاً لكانوا يتعجلون سريعاً أن يقبضوا عليه ويسروه على الصليب . ومع ذلك فقد كان متنبئاً

بالنسبة لهم حتى إذا أرادوا أن يمسخوه ، لم يقدرُوا بل بارادته وحده
أسلم ذاته . فيقول هؤلاء بأنه يبدو أن المسيح لم يبين أية علامة في سنه
المبكر قبل هذه المعجزة ، لكن فقط في سن الثانية عشر كما روى لوقا
البشير ، حينما جلس مع معلمى اليهود في اورشليم وأدهشهم باسئلته
بحكمة أجوبته .

ويمكننا أن نسمع البعض الآخر الذين يبعثون بأكثر دقة يقولون
أن البشير قال أن هذه المعجزة هي الأولى التي صنعها ، ليس على الإطلاق ،
لكنها الأولى في قانا الجليل ، مشيرين إلى أنه مرة أخرى في مكان آخر
قد صنع معجزات .

وتبعا لاختلاف الأشخاص والأزمات والأماكن كانت هذه العلاقات
تتم بحكمة بأساليب مختلفة . بطريقة عند اليهود الحسودين المتكبرين
الذين كانوا يعتقدون أنهم يعرفون الله وناموسه ؛ وبأخرى عند الذين
تحرروا من مثل هذه الأهواء .

وحينما نزل المسيح إلى مصر بسبب جنون هيرودس ، وكان لا يزال
طفلا صغيراً ، حسب نبوة اشعيا النبي ، يزرع تلك الأشياء المصنوعة

بيد الانسان : ووحى من جهة مصر . هوذا الرب راكب على سحابة
سريعة وقادم إلى مصر فترتجف أوثان مصر من وجهه ويذوب قلب
مصر داخلها ، (أش ١٩ : ١) ، أى التماثيل والأصنام وصور
الشياطين التي كانت تسقط مغلوبة خاضعة في الحال للإله الحقيقي .

والعدراء والدة الاله ، كانت تقول أيضاً كمن اعتادت أن ترى
علامات وتعرف أنه صاحب المعجزات الباهرة : و ليس لهم خمر ، (يو
٢ : ٣) . هكذا كان يجب أن نفهم أنها كانت المعجزة الأولى من المعجزات
التي تمت في قانا الجليل ، أو المعجزة الأولى بعد عماد الرب يسوع .

شرح القديس يوحنا

اسقف القسطنطينية

وقد كتب القديس يوحنا اسقف القسطنطينية (١) شارحاً هذا

الفصل من الانجيل :

واذن المسيح في ذلك الزمان صنع من الماء خمرآ . وهو الآن لا يزال
يغير الارادات المائعة التي تنسكب وتنتشر . فانه يوجد اناس لا يختلفون
في شيء عن الماء ، وهم هكذا باردون ومسترخون وهم لا يتوقعون
أبدآ . لتقدم هؤلاء الذين في هذه الحالة إلى ربنا لكي يغير ارادتهم مثلاً
غير الماء إلى خمر ، حتى لا ينسكبوا ولا ينتشروا ، بل يكونون
موضوع فرح بالنسبة لانفسهم وبالنسبة الآخرين .

هل تلاحظون أن النيد هو علامة التغيير إلى شيء أفضل وعلامة
الفرح الروحي ، وأن الماء أيضاً رمز هنا ليس للطهارة وللتنقية فحسب ،
لكنه رمز للتطبيب وعدم التوقف والانسكاب والانتشار .

(١) يبدو أنه القديس يوحنا من الذهب .

شرح القديس كيرلس

يستشهد القديس الكبير واللاهوتى النادر بأقوال القديس كيرلس
ويسميه القديس الحكيم . وفي هذه المعاني أروع ما يمكن أن تصل إليه
العقول البشرية وكأنها الألهام بمعادة البشر في دارهم هنا فينعمون
بالبركات السماوية وهم على الأرض ، ويتقدمون بتقديس الوجود
البشرى ؛ وفي هذا منتهى الجلاء في التأمل وغاية الوضوح في الإرشاد .
وأنا أقول مأثورة لم يفث هذا القديس أن يستشهد بها ، فحق علينا أن
نوليها غاية اعتبارنا ونتدبرها بمقولنا وأفهامنا ونحفظها في سويدام
قلوبنا . فانه من أجل هذه المعاني الروحية يعظم اقتبالنا لنعمة هذه
المعجزة تعظيلاً .

يقول القديس ساويرس : اسمعوا إذن القديس الحكيم كيرلس الذى
كان راعياً للديانة العظمى المؤمنة الاسكندرية ، وهو يشرح بطريقة
لاهوتية هذا الفصل من الانجيل . فقد كتب هذا :

• وفي اليوم الثالث كان عرس في قانا الجليل ، (يوحنا ٢ : ١) . وإذ

الخاص بانجاب الأطفال . فكما يقول بولس الرسول : « إذاً إن كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة . الأشياء العتيقة قد مضت . هو ذا الكل قد صار جديداً ، (٢ كو ٥ : ١٧) .

إن كلمة الله نزل إذن من السماء حتى باتعمده بالطبيعة البشرية كعريس ، يقنمها بأن تحمل في أحشائها بثمار الحكمة الروحية . وبسبب ذلك تدعى البشرية « العروس » عن جدارة ، ويدعى مخلصا « العريس » ، حينما يشرح الكتاب الإلهي مبتدئا بالأشياء التي تنتمي إلى حالتنا فيرتفع بالكلام إلى ما يفوق طبيعتها .

إن وليمة العرس قد اجتمعت في اليوم الثالث ، أي في آخر الأزمنة ؛ لأن هذا العدد « ثلاثة » يدل على البداية ، والوسط ، والنهاية ؛ وهذا يكون مقياس كل وقت .

ويشبه ذلك ما قاله أحد الأنبياء في موضع ما : « هلم نرجع إلى الرب لأنه هو اقترس فيشفيئنا . ضرب فيجبرنا . يحمينا بعد يومين . في اليوم الثالث يقيننا فنحن أمانه . لنعرف فلنتبسط لنعرف الرب . خروجه يقين كالفجر . يأتي إلينا كالملطر . كقطر متأخر يسقى الأرض (هو ١ : ٢ - ٣) .

ضرب بسبب تعدى الوصية ما اعترى آدم حينما قال : « لانك تراب وإلى تراب تعود ، (تك ٣ : ١٩) .

وهو ذاته ضمد جراحات من كان مضروبا بالفساد وبال موت ، في اليوم الثالث ، أي ليس في الأزمنة الأولى ولا في الأزمنة المتوسطة ، بل في الأزمنة الأخيرة ، حينما أظهر الطبيعة جيدا بعد أن تأنس لاجلنا إذ أقامها صحيحة في ذاته من بين السموات ، لذلك إذا يدعى أيضا « باكورة الرافدين » ، (اكو ١٥ : ٢٠) .

ويقول يوحنا البشير : « في اليوم الثالث ، (يو ٢ : ١) حيث كان العرس ، يعني في الزمان الأخير .

انه يدلنا بخصوص المكان أيضا : كانت المعجزة في قانا الجليل (يو ٢ : ١) . وفي ذلك ليقننه من جديد من يجب التعليم . أنه لم يكن الاحتفال في أورشليم ؛ بل كانت الوليمة خارج اليهودية ؛ كانت في بلد الأمم ؛ إذ أن الجليل كان جزءا منها كما يقول النبي .

« ولكن لا يكون ظلام التي عليها ضيق . كما أهان الزمان الأول

أرض زبولون وأرض نفتالي يكرم الأخير طريق البحر عبر الأردن
جيليل الأمم . (اش ٩ : ١) .

اعتقد إذن بالتأكيد : (١) ان مجمع اليهود قد رفض العريس الآتي
من السماء .

(٢) ان الكنيسة التي تنتقى من بين الأمم قد قبلته بفرح عظيم .

(٣) لم يأت ربنا إلى وليمة العرس من نفسه .

(٤) ان أصوات القديسين الكثيرة قد دعت إليه .

بين الناموس والروح على ضوء المعجزة

ومن أعجب التساويل وأبرع التفسير ما قاله القديس ساويرس
في التعليق على عدم وجود الشيد . قال : لكن الشيد كان ينقص الذين
كانوا يأكلون . فبرى القديس بمعنى بصيرته في هذه الحالة انه فعلا لم
يحضر الناموس إلى الكمال شيئا ما ، إذ الناموس لم يكمل شيئا . ولكن
يصير لإدخال رجاء أفضل به تقرب إلى الله . (عب ٧ : ١٩) .

فكتاب موسى غير كاف لكي يعطى السرور الكامل . ومع ذلك
فحتى عند درجة اليقظة الطبيعية فينا لم تكن تسمع حتى تستطيع أن
تخلصنا .

فيحن إذا إن يقال عنا أيضاً : ليس لهم خمرة ، (يو ٢ : ٣) . أن
الحناء التي في العطايا لا يهمل الطبيعة المضطربة من جراء نقص
الخيرات . لقد أظهر لنا خيرا طيبة أفضل من الأولى . ولأن
الحرف يقتل ولكن الروح يحيي ، (٢ كو : ٣) .

الناموس لا يملك الكمال في الخيرات ؛ وأما النعالم الإلهية الأنجيلية

فتجلب بركة غنية جداً . فكما أعجب رئيس المتكأ هذا بالخمر ، اعتقد
بالفعل ان كل واحد من المعينين للخدمة الكهنوتية الإلهية الذين اؤتمنوا
على بيت المسيح مخلصنا ، يكون في عجب وفي دهشة من كلمته التي
تعلو الناموس .

ان المسيح يأمر بأن يعطى الخمر لرئيس المتكأ أو لأنه حسب كلمة
بولس الرسول : « يجب أن الحراث الذي يتعب يشترك هو أولاً في
الآثمار ، (٢ تي ٢ : ٦) .

لنكرم الزواج ونمدح البتولية كأنها الأرفع والأكرم ، ولنمدح
الاثنين اللذين يقودان إلى ملكوت السموات . ولا نمنع الزواج
كالهراطقة ، ولنشجع إلى البتولية ونتبّع الرسول بولس الذي كتب إلى
أهل كورنثوس : « إذا من زوج فحسناً يعمل ومن لا يزوج يفصل
أحسن » (١ كو ٧ : ٢٨) .

والمجد والعظمة والسلطان للآب والابن والروح القدس الآله
الواحد الآن وكل أوان وإلى أبد الأبدِين ودهر الداهرين آمين .